لسانيات دي سوسير:

نظرت المدرسة البنيوية في تحليلها للجملة باعتبارها بناء متدرجا من طبقات عمودية لا باعتبارها خطا أفقيا من الكلمات معتمدين في ذلك تقسيمات ثنائية حتّى تصل إلى أصغر طبقة؛ حيث لا يمكن تقسيمها إلى وحدات أصغر (المورفيمات)، وقد عكس هذا الاتّجاه (هاريس) في تحليله للجملة؛ حيث ينطلق من المورفيمات وصولا إلى الجملة، فموضوع اللّسانيات الّذي حدّده سوسير يتمثّل في دراسة اللّسان البشري كهدف في حدّ ذاته، لا كوسيلة لأغراض أخرى، إنّه ينظر إليه كنظام من الأدلة المتواضع عليها لغرض التبليغ، فدراسته تجعل من وحدات الكلام وحدات منقطعة بعد أن أتت في صورة كتلة متداخلة.

ويمكن القول إنّ البنوية تُعنى بدراسة المنجز في صورته الآنية بغض النظر عن السياق الّذي أُنتج فيه؛ أي أنّها تهتمّ... بكيفية تصنيف الوحدات اللّسانية في الجملة على أساس وظيفتها الشكلية" بمعنى أنّ شكل اللّفظة هو الّذي يُعين الباحث أو الدّارس على تحديد القسم الّذي تندرج فيه وِفق توزيعها داخل الجملة، بين الأجزاء أو الوحدات الأخرى دون الاهتمام بالمعنى.

وقد اِهتمّ سوسير بالوحدة اللّغوية وعلاقتها بالوحدات الأخرى في النظام حيث تظهر قيمتها بعلاقتها بالعناصر اللغوية الأخرى، وشبّه اللّغة بذلك بعلبة الشطرنج تستمدّ كلّ قطعة قيمتها بالموقع الّذي تحتله على رقعة (الشطرنج) في مقابل المواقع الّتي تحتلها القطع الأخرى على الرقعة "فالعلاقة بين قطع الشطرنج هي العلاقة نفسها الّتي تقوم عليها اللّغات الإنسانية من حيث علاقة عناصرها الداخلية بعضها ببعض داخل النظام اللغوي"[1] ليبيّن العلاقة الموجودة بين وحدة ما مع بقية الوحدات في تركيب ما.

واللافت للانتباه أيضا أنّه درس اللغة دراسة وصفية آنية Synchronique ودراسة تعاقبية تاريخية Diachronique، فمثّل بذلك الدّراسة التعاقبية بمحور عمودي، هذا دائما في حالة الحركة، وفقا للتغيّر الزمني أو التاريخي للّغة حتّى فرّق بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية، فكأنّه يرمي إلى الوصول إلى القول إنّ الدراسة الوصفية descriptive أسبق من الدراسة التاريخية historique رغم

[1] - F. D. Saussure., Cours de linguistique générale, P 1-5.

إنّ الدراسة التاريخية تكون دائما في ضوء الوصفية باعتبار أنّ النظام اللّغوي الكامل لابدّ أن يكون تاريخيا، والدّراسة الوصفية هي الطريق إلى الدراسة التاريخية، وذلك باعتبار اللّغة نظاما من علامات أو وحدات لغوية، تعرف كل وحدة منها بالوحدات التي تشترك معها في السياق، وثمة علاقة تنعقد بين هاتين الوحدتين هي ما يطلق عليه العلاقة الأفقية أو السياقية (Syntagmatique relation) بمعنى أنّ عناصر الجملة أو وحداتها تنتظم فيما بينها في شكل خط أفقي متدرج زمنيا، حيث إنّ هذه العلاقة الأفقية بين الوحدات المتتابعة هي علاقة حضور، ويتمثّل هذا النوع من العلاقات الأفقية بين الوحدات اللّغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة وجمل النص الواحد، فتضفي كلّ واحدة على الكلّ معنى إضافيا، وتكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات الّتي تسبقها أو تليها أو معها جميعا مثال ذلك: "جملة: (القطار سريع) تتألف من وحدتين تجيء الثانية (سريع) في عقب الأولى (القطار) بهذا الترتيب الخاص، وقد نشير إلى هذه الجملة بصورة أكثر تجريدا فنقول إنّها مركب يتألف من: اسم (مرفوع) + وصف مرفوع"[2] وهناك علاقة أخرى بينها وهي علاقة رأسية، ويُطلق عليها العلاقات الترابطية الاستبدالية وتظهر على محور التصريف العمودي، بما يحدث فيه من عمليات استبدال بين الوحدات في مختلف المواضع في مستوى هذا المحور، ويقصد بها تلك الوحدات الّتي يمكن استحضارها في الذهن، وأن تحلّ محلها في السلسلة الكلامية، ويوضّح ذلك المثال الآتي:

"القطار قادم من الشمال ← علاقة أفقية

السيارة ذاهبة إلى الجنوب ↓ **علاقة رأسية**

السفينة خارجة من الغرب"[3]

إنّ الخط الرأسي يُتيح الفرصة لزيادة كلمات لا حصر لها مشابهة للكلمة السابقة، في حين أنّ الخط الأفقي محدود، وهذا يدلّ على أنّ سوسير نظر إلى اللّغة نظرة وصفيّة على أساس الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية المدروسة في فترة زمنية محدّدة في مكان محدّد ولذلك وضّح سوسير، التقابل الموجود

---

[2]- **محمد حسين عبد العزيز، سوسير رائد علم اللغة الحديث، د ط. مصر: د ت، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع** ص34.

[3]- محمد حسين عبد العزيز، سوسير رائد علم اللغة الحديث، ص36.

بين هذين المحورين (المحور الأفقي: محور الدراسة الوصفية والمحور العمودي: محور الدراسة المتعاقبة التاريخية) فبيّن أنّ: "ما يخص الجانب الثابت للعلم هو وصفي Synchronique، وكلّ ما له علاقة بالتطور هو تاريخي Diachronique وعلى هذا النحو يفضّل الحديث عن الوصفيّة لتشير إلى اللّغة في حالة ثبات، وعن التاريخية لتشير إلى اللّغة في حالة تطوّر"[4] ومثّل لذلك بلعبة الشطرنج حيث يمكن وصف حالة اللوحة وصفا كاملا بتحديد المواقع الّتي تحتلها قطع الشطرنج المختلفة دون الالتفات إلى الشطرنج، وكلّ اللّغات يمكن وصفها في وقت محدّد دون الرجوع إلى حالها السابق، لكنّ هذا لا يعني عزل أو قطع الصلة بين علم اللّغة التاريخي وعلم اللغة الوصفي اللغوي الكامل، فلابدّ أن يكون تاريخيا، والدراسة الوصفية هي الطريق إلى الدراسة التاريخية"[5] أي إنّه لا يمكن الاستغناء عن الدراسة التاريخية.

[4]- المرجع نفسه، ص34.

[5]- حلمي خليل، دراسات في اللّسانيات التطبيقية، د ط. مصر: 2005، دار المعرفة الجامعية، ص24.